شهادة التوحيد عند غلاة الصوفية

(دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)

Shahadatu el-Tawheed of Sufi Extremists

"A Critical Study of in the Light of Faith Doctrine of Ahlu Sunnah Wal Jamaah

د/ محمد علي سلمان الوصابي*

*الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية – أبها.

نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى عمادة البحث العلمي بجامعة الملك خالد

على دعم هذه الدراسة من خلال البرنامج البحثي العام برقم (228) 1442هـ

ملخص البحث:

تناول الباحث في هذا البحث والموسوم ب(شهادة التوحيد عند غلاة الصوفية "دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة")، قضية شهادة التوحيد "لا إله إلا الله"؛ كونها أساس الإيمان، وأعلى ما تلهج بها ألسنة المؤمنين، وبها يدخلون الإسلام، وبها يلقوا الله في الآخرة، وقد قام الباحث:

أولاً: بتوضيح عقيدة غلاة الصوفية في شهادة التوحيد، وما تضمنته من مخالفة صريحة للنصوص الشرعية، وأثر ذلك على التوحيد، مبينا موقف أهل السنة والجماعة من ذلك.

ثانياً: إن بعض غلاة الصوفية يذكرون الله – جل وعلا – بالاسم المفرد "الله" أو بالضمير "هو" ويفضلون ذلك على شهادة التوحيد.

ثالثاً: قدم الباحث رؤية واضحة عن عقيدة شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" عند غلاة الصوفية، وكيفية الذكر بها، وبيان صِلتُها بالعقيدة الصحيحة، من عدمها.

رابعاً: استخدم الباحث المنهج الاستقرائي المقارن، وذلك باستقراء أقوال غلاة الصوفية المتعلقة بشهادة التوحيد ومناقشتها مناقشة علمية، كما استخدم أيضاً المنهج النقدي كلما تطلب الأمر ذلك.

خامساً: توصل الباحث من خلال تناوله عقيدة غلاة الصوفية في بشهادة التوحيد "لا إله إلا الله" كما هو ثابت في كتبهم، أن لهم عقيدة خاصة بهم مناقضة تماماً لتوحيد الألوهية وأدلته الكثيرة من القرآن والسنة، وأنها مَرَّ بأطوار متعددة حتى وصل إلى عقيدة أهل وحدة الوجود.

سادساً: يوصي الباحث بضَرُوْرة دراسة عقيدة غلاة الصوفية في مواضيعها المختلفة؛ ليتجلى للباحث ما هم عليه من عقيدة سواء أكانت سليمة أو غير سليمة.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية): شهادة التوحيد، عقيدة، غلاة الصوفية، أهل السنة والجماعة، الفِرق.

Abstract

This research article discusses the issue of Shahadatu el-Tawheed (Testimony of Faith, 'there is no deity/god but Allah')) as the basic tenet of Islamic Faith. Shahadatu el-Tawheed is the favorite word of all believers as well as their testimony of faith in Allah here and in the Hereafter. No one can be declared Muslim until he articulates the word of Tawheed. The working of the paper is summed up in the following:

- Sufi Extremists' belief and their apparent violation of Islamic doctrine of faith as stated in the Holy Quran and Sunnah. Full-fledge discussion of the opinions of Ahlu Sunnah Wal Jamaa on such violations is also provided.
- How some Sufi Extremist prefer calling Allah, The Almighty, by the single proper name, Allah, or the pronoun, He, in their invocations and Allah's remembrance instead of the full word of Tawheed (There is no god but Allah).
- A detailed and resourceful study on the Sufi Extremists' Doctrine of Faith and Tawheed, how they use it in their holy recitations, and how far this is from the true Islamic doctrine of Faith.
- Comparatively inductive method has been adopted as the research method. Various Sufi Extremists' sayings regarding Shahadat Tawheed have been extensively quoted and duly examined. The critical approach has also been used, when necessary, to critique some concepts related to the issue.
- It has concluded that Extremists of Sufism have their own Faith Belief which is completely different from and contradictory to the true Faith and Belief of Godhood stated and explained in the Holy Quran and Sunnah. It has also been found that Sufi Extremists' Faith Belief has passed through several phases until it reaches to the belief in the Oneness of Universe.
- Further exploration of Sufi Extremists' Faith Belief is recommended as to expound how, when and why they violate the true Faith Creed of Islamic Shariah.

Keywords:

- Shahadat Tawheed (Testimony of faith), Aqedah (Islamic Doctrine of Faith), Sufi Extremists, Ahlu Sunnah Wal Jamaah (followers of Sunnah), Feraq (Sects)

المقدمة:

الحمد للّه نحمدُه ونستعينه ونستغفِره ونستهديه، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، تركنا على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؛ أما بعد:

فإن أصل الدين الإسلامي وأساسه شهادة التوحيد؛ "لا إله إلا اللّه" كما ثبت ذلك في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وقد تضمن هذا البحث الموسوم: ب (شهادة التوحيد عند غلاة الصوفية "دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة)، توضيح عقيدة غلاة الصوفية في شهادة التوحيد لما لهم فيها من مخالفة صريحة للمنقول والمعقول، وما عليه سلف الأمة، سائلاً المولى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

موضوع البحث: يتناول البحث (شهادة التوحيد عند غلاة الصوفية "دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة).

أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث في الآتي:

1 / توضيح عقيدة غلاة الصوفية في شهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" وما تضمنته من مخالفة صريحة للنصوص الشرعية.

2 / بيان أهمية الذكر بالاسم المفرد "اللّه" أو الضمير "هو" عند غلاة الصوفية، وأثر ذلك على التوحيد.

3 / إظهار مدى علاقة الذكر بشهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" عند غلاة الصوفية بالدين الإسلامي.

4 / إبراز موقف أهل السنة والجماعة من عقيدة غلاة الصوفية في شهادة التوحيد.

أهداف البحث: يهدف البحث لما يأتي:

1 / تقديم رؤية واضحة عن عقيدة شهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" عند غلاة الصوفية.

2 / التعرف على كيفية الذكر بشهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" عند غلاة الصوفية.

3 / توضيح حقيقة عقيدة غلاة الصوفية بالشهادة وصِلتُها بالعقيدة الصحيحة، من عدمها.

أسباب اختيار الموضوع: تعد عقيدة غلاة الصوفية في شهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" ظاهرة منتشرة عند غلاة الصوفية في كثير من البلدان العربية والإسلامية، ولذلك أحببت تناولها بالبحث والدراسة والنقد، من أجل إظهارها لكل مطلع على عقيدة غلاة الصوفية ومهتم بها.

ISSN : 2410-1818

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتدقيق؛ لم أجد من كتب بحثاً أو رسالة علمية في موضوع (شهادة التوحيد عند غلاة الصوفية "دراسة نقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة").

مشكلة البحث وأسئلته: تكمن مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

س / ما عقيدة غلاة الصوفية في "شهادة التوحيد" "لا إله إلا الله"؟

ويتفرع منه عدة أسئلة هي:

1/ لماذا غلاة بعض الصوفية يذكرون الله – جل وعلا - بالاسم المفرد "الله" أو بالضمير "هو" على شهادة التوحيد "لا إله إلا الله"؟.

2/ هل تفضيل غلاة الصوفية الذكر بالاسم المفرد "الله" أو بالضمير "هو" على شهادة التوحيد عقيدة صحيحة؟ وما موقف أهل السنة والجماعة من ذلك؟.

منهج البحث: استخدم الباحث في بحثه المنهج الاستقرائي المقارن، وذلك باستقراء أقوال غلاة الصوفية المتعلقة بشهادة التوحيد "لا إله إلا الله"، كما استخدم المنهج النقدي كلما تطلب الأمر ذلك، ملتزماً بما هو معلوم من البحث العلمي بالضرورة، مثل الإسناد إلى المصادر والمراجع والتوثيقات ونحو ذلك.

تقاسيم البحث: تحتوي خطة البحث على مبحثين هما:

المبحث الأول: التعريفات، ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف الغلو في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثالث: تعريف الصوفية.

المبحث الثاني: شهادة التوحيد عند غلاة الصوفية ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" نفي وإثبات.

المطلب الثاني: أفضلية الذكر وآدابه.

المطلب الثالث: طريق الذكر بشهادة التوحيد.

الخاتمــة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريفات:

ويحتوي على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الشهادة في اللغة: خبر قاطع يقال: شهد الرجل على كذا، شهادة، أي؛ أخبر به خبراً قاطعاً[(1)].

قال ابن فارس[(2)]: "شهد" الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه، من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام. يقال شهد يشهد شهادة"[(3)].

وشهد المجلس: حضره، وكان متواجداً فيه، وشهد حادثة كذا: رآها وعاينها وشهد الجمعة: أدركها[(4)]، وشهد الشاهد، أي؛ بين ما يعلمه وأظهره، وشهد فلان على فلان بحق، فهو شاهد، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران، آية 18) أي؛ قضى الله - جل وعلا - أنه "لا إله إلا هو"، وقيل: بين الله وأظهر؛ وحقيقته؛ عَلِمَ الله وبَيَّن؛ فهو العالم الذي يبين ما علمه، لأن الله دَلَّ على توحيده بجميع ما خلق[(5)]. فالشهادة إخبار بالشيء عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته[(6)].

---

(1) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على بن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت (ط3: 1414هـ)، (3/ 239)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأخرون، دار الدعوة (د. م، ط، ت)، (1/ 497).

(2) هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، المعروف بالرازي؛ كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة، بصيراً بفقه مالك، من مؤلفاته : كتاب المجمل في اللغة، و كتاب حلية الفقهاء، وغيرها (ت: 395هـ) بالري. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (ت: 681هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د. ط) (1900م) (1/ 118، رقم: 49)، وسير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ات : 748هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (د. م) (ط3 : 1405هـ - 1985م) (17/ 103، رقم: 65).

(3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (د. م، ط)، (1399هـ - 1979م) (3/ 221).

(4) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب (ط1: 1429هـ - 2008م)، (2/ 1240).

(5) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (3/ 239).

(6) شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس (ت: 1395هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه/ علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر (ط3: 1415هـ) (1/ 55).

ISSN : 2410-1818

ثانياً: التوحيد في اللغة: من وَحَّدَ يُوَحِّدُ، توحيداً، فهو موحد(7)، ووحد اللّه أقر وآمن بأنه واحد(8).

قال ابن فارس: "وَحَّدَ: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد"(9)، يقال: توحد برأيه تفرد به، وواحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله، وفلان واحد دهره أي لا نظير له(10).

ثالثاً: شهادة التوحيد في الاصطلاح: هي "لا إله إلا اللّه" أي؛ لا معبود بحق إلا اللّه(11).

فشهادة "لا إله إلا اللّه " نفي وإثبات؛ نفي الإلهية عما سوى اللّه - جل وعلا - من المخلوقات، وإثباتها بجميع أنواعها للّه وحده لا شريك(12)، فلا يستحق العبادة إلا اللّه وحده لا شريك له دون سواه والبراءة من كل معبود دونه، وإخلاص العبادة له - سبحانه(13).

المطلب الثاني: تعريف الغُلُو في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الغُلوُ في اللغة: تجاوز الحد، يقال: غلا في الأمر، يغْلو غُلُوا: أي؛ تجاوز حده، وغلا في الدين غلوًّا، أي؛ تشدَّد وتصلَّب حتى جاوز الحد. والغُلاة جمع غالٍ، وهو المتعصِّب الخارج عن الحد في الغلو من المبتدعة ونحوهم، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ (المائدة آية: 77)، وغلا الناس في الأمر، أي؛ جاوزوا حده، كغلو اليهود في دينهم(14).

ثانياً: الغُلُو في الاصطلاح: "هو مجاوزة حدود ما شرع اللّه لعباده سواء في العقيدة أو العبادة"(15)، أو غير ذلك من الأمور.

---

(7) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار (3/ 2409).

(8) ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأخرون (2/ 1016).

(9) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (6/ 90).

(10) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (6/ 90)، ولسان العرب، ابن منظور (3/ 449، 452).

(11) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت: 1285هـ)، تحقيق/ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (ط7: 1377هـ -1957م) (1/ 36).

(12) ينظر: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (ط2: 1424هـ - 2004م) (1/ 540).

(13) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، (ط1: 1424هـ) (1/ 53)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (1/ 17، 36، 105).

(14) ينظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، تحقيق/ مهدي المخزومي، وآخرون دار الهلال (د. ط، م، ت)، (4/ 446)، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، مرتضى الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. م، ط، ت) (1/ 265، 39/ 178)، ولسان العرب، ابن منظور (15/ 131)، والمعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (2/660).

(15) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (ط1: 1421هـ) (1/ 70).

المطلب الثالث: تعريف الصوفية: اختلف العلماء في أصل كلمة (الصوفية)، فقيل: إنها من الصفا ، وقيل نسبة الى الصفة، وقيل من لبس الصوف وهذا أرجح الأقوال(16).

والمراد بالتصوف: تجريد العمل لله – جل وجلاله - ، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع والخمول، وإماتة الشهوات في النفس. وهذا التعريف لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول، الذي كان التصوف فيه عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده، والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، دون أن يَلْبِسوا ذلك بشيء من الأفكار والسلوك المشين الذي وصلت إليه الصوفية بعد ذلك(17).

والمقصود بمصطلح غلاة الصوفية هنا؛ هم متصوفة الفلاسفة الذين يدورون بثيابهم المرقعة والخشنة ووجوههم المصفرة ومقالاتهم التي هي ضد الشرع وخلافه ويصيحون عند إدراك شيء من تلك المعارف الشيطانية صياحاً منكراً ويسمونه حالاً وهو عند التحقيق حال حائل عن طريق الدين وخيال مائل عن سبيل المؤمنين، فجعلُوا هذا الأمر طريقاً إلى الدنيا، ومدرجاً إلى التلاعب بأحكام الشرع، ومسلكاً إلى أبواب اللهو والخلاعة والسحر والدجْل والتَّنْجيم، وجميع أنواع الطّلاسم والشَّعْوذة في الأمَّة، فغَلَوْا غُلوا كبيرا، حتى صارت من الفرق البِدْعِية، فمنهم من بدعته في الأَوراد والأذكار، وقد يتعدَّون ذلك إلى الغُلُو في المشايخ ومن يسمُونهم الأولياء، وقد يرفعونهم إلى مقام الربوبية والأُلوهية والعياذ بالله، وقد يزيدون على ذلك بما هو أشدُّ كفرا من ادِّعاء الحُلُول أو وُحْدَة الوُجُوْد(18).

---

(16) ينظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية(د. ط) (1416هـ –1995م) (11/ 6، 29)، كتاب المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، محمد أمين الكردي الإربلي (ت: 1322هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة (ط1: 1329هـ) (3/ 976).

(17) ينظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة (ط4: 1422هـ – 2001م) (3/ 865).

(18) ينظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، تحقيق/ عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم، بيروت (ط1: 1419هـ – 1998م) (1/ 221)، وأصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، (د. م، ط، ن)، (1420هـ –1421هـ) (1/ 27)، وشركيات عقائد الصوفية، الشيخ محمد بن عبد الله الإمام، الجمهورية اليمنية، ذمار، (د. ن، ط)، (1/ 16).

المبحث الثاني

شهادة التوحيد عند غلاة الصوفية ويحتوي على ثلاثة مطالب

المطلب الأول: شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" نفي وإثبات:

قال ابن عربي[19]: "واعلم أن طلا إله إلا الله" كلمة نفي وإثبات وهي أفضل كلمة قالتها الأنبياء، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة»[20]، فيه إشارة لدعاء العارفين بالله، «وأفضل ما قلته أنا والنبيين من قبلي لا إله إلا الله»[21]، وهو حديث صحيح رواية ومعنى، فالنفي لا بد أن يَرِد على ثابت فينفيه فإن ورد على ما ليس بثابت وهو النفي أثبته، لأن ورود النفي على نفي إثبات"[22].

لم اجد من علماء السلف من ذكر أن في قوله - صلى الله عليه وسلم-: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة»[23]، إشارة لدعاء العارفين بالله، ولعل ابن عربي قصد بالعارفين بالله غلاة الصوفية الذين يزعمون أنهم العارفون بالله - سبحانه - فيجعلون لأنفسهم ألقاباً لا تدل عليهم مطلقاً لمخالفة عقيدتهم تلك الألقاب شرعاً وعقلاً وعرفاً.

ويذكر ابن عربي: أن النفي ورد على أعيان من المخلوقات لما وصفت بالألوهية وقيل فيها آلهة، فتعجب من تعجب من المشركين لما دعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الله الواحد فأخبرنا الله - جل وعلا - عنه أنه قال: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ (ص آية: 5) فسموها آلهة وهي ليست كذلك فورد حكم النفي على هذه النسبة الثابتة عندهم لا على نفي الألوهية، لأنه لو

---

(19) هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد، المعروف بابن عربي، كان متصوفاً، غلا في علم التصوف غلواً كبيراً، فكلامه مريب وله شطحات، وله العديد من المؤلفات في التصوف، (ت: 28 من ربيع الآخر سنة 638هـ). ينظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت: 764هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت (ط1: 1974م) (3/ 435، 436).

(20) أخرجه الترمذي السنن، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي (ت: 279هـ)، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر، وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (ط2: 1395 هـ - 1975م)، (5/ 572، رقم: 3585).

(21) أخرجه الترمذي في السنن (5/ 572، رقم: 3585)، بلفظ: "وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه و حماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني وليس بالقوي عند أهل الحديث، وقال الألباني: حسن.

(22) الفتوحات المكية، محيى الدين محمد بن علي بن محمد المعروف بابن عربي (ت: 638هـ)، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ط، ت) (1/ 494).

(23) سبق تخريجه.

نفى النفي لكان عين الإثبات لما زعمه المشرك فكأنه يقول للمشرك: هذا القول الذي قلت لا يصح، أي؛ ما هو الأمر كما زعمت ولا بد من إله وقد انتفت الكثرة في الآلهة بحرف الإيجاب "إلاَّ" وأوجبوا هذه النسبة إلى المذكور بعد حرف الإيجاب الذي هو مسمى "اللّه" فقالوا: "لا إله إلا اللّه" فلم تثبت نسبة الألوهية للّه بإثبات المثبت لأنه - تعالى - إله لنفسه، فأثبت المثبت بقوله: "إلا اللّه" هذا الأمر في نفس من لم يكن يعتقد انفراده بهذا الوصف، فإنَّ ثَبْتَ الثَّبْت محال وليس نفي النفي محال، فعلى الحقيقة ما عبد المشرك إلا اللّه لأنه لو لم يعتقد الألوهية في الشريك ما عبده، فعمَّت كلمة "لا إله إلا اللّه" مرتبة العدم والوجود، فلم تبقَ مرتبة إلا وهي داخلة تحت النفي والإثبات فلها الشمول(24).

من المؤكد أن كلام ابن عربي عن النفي والاثبات في شهادة التوحيد وأن النفي إنما ورد على النسبة الثابتة عند المشركين بتسميتهم الأصنام آلهة، فجعل لشهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" معنى وهمياً وأهمية غير ما تقتضيه شهادة "لا إله إلا اللّه" مستخدماً في ذلك عباراته الغامضة مخالفاً ما ثبت في القرآن الكريم، والسنة النبوية، في معنى "لا إله إلا اللّه" وما تضمنته من نفي وإثبات، فنفي الألوهية عما سواه - جل وعلا - وإثباتها له؛ بمعناهما الصحيح واجب؛ فلا توحيد للعبد إلا بالنفي والاثبات إذْ هما ركنا التوحيد؛ بدليل قوله - صلى اللّه عليه وسلم -: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه»(25).

لأن شهادة التوحيد "لا إله إلاَّ اللّه" نفي العبادة عما سوى اللّه- سبحانه -، وإثباتها له وحده لا شريك له، بمعنى؛ إبطال عبادة كل ما سواه، وإثباتها له؛ فقول العبد: "لاَ إله": إبطال جميع المعبودات من دون اللّه - جلّ وعلا -، وإنكارها وفي قوله "إلاَّ اللّهَ": إثباتها له - سبحانه - فعلى هذا معنى "لا إله إلاَّ اللّه" أي؛ "لا معبود بحق إلاَّ اللّه"؛ فهذا معنى النفي والإثبات في شهادة التوحيد "لا إله إلاَّ اللّه"(26).

وأما قول ابن عربي: "فعلى الحقيقة ما عبد المشرك إلا اللّه ..." فلا شك أنه:

أولاً: جعل ابن عربي الألوهية لكل موجود في الكون، بقوله "ما عبد المشرك إلا اللّه ..." أي؛ أن كل موجود في الوجود، هو "اللّه" في عقيدة أهل وحدة الوجود، وهذا منافض للأدلة الصريحة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (البينة آية: 5)، وقوله رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك

---

(24) ينظر: الفتوحات المكية، محيى الدين ابن عربي (1/ 494، 495).

(25) متفق عليه، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: 256)، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت (ط3: 1407هـ – 1987م) (2/ 507، رقم: 1335)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ط، ت) (1/ 52، رقم: 21).

(26) ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، (د. م) (ط3: 1423هـ – 2002م) (1/ 61).

عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[27]. وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[28]، ومن خالف الأدلة الصريحة من القرآن والسنة وما عُلِمَ من الدين بالضرورة فلا شك في كفره.

ثانياً: إنه أجاز عبادة كل شيء في الوجود ، وصحح عبادة كل معبود من غير الله واعتقد أن كل دين على وجه الأرض فهو صحيح، وهذا أعظم الشرك؛ وكل شرك وقع في الكون فهو من شرك وحدة الوجود ولهم من ذلك نصيب لقوله - صلى الله عليه وسلم - «ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[29].

ثالثاً: في كلام ابن عربي تكذيب للرسل وتعطيل للشرائع، واسقاط للواجبات والفرائض وهذا معلوم الفساد نقلاً وعقلاً لما تظافرت من الأدلة ومنها ما ذكرت سابقاً.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية[30]- رحمه الله تعالى-: فعندهم أي غلاة الصوفية أن "الإنسان هو غاية نفسه وهو معبود نفسه وليس وراءه شيء يعبده أو يقصده أو يدعوه أو يستجيب له؛ ولهذا كان قولهم حقيقة قول فرعون"[31]. وقال أيضاً: "فإن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة؛ هو من أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين والجاحد لها كافر بالاتفاق"[32].
وقال أيضاً: "ومعلوم أن من أسقط الأمر والنهي الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين"[33].

---

(27) أخرجه مسلم في الصحيح (1/ 52، رقم: 21).
(28) أخرجه مسلم في الصحيح (1/ 53، رقم: 23).
(29) أخرجه مسلم في الصحيح (2/ 704، رقم: 1017).
(30) هو: أحمد بن عبد الحليم شيخ الاسلام ابن تيمية الحراني قدم مع والده إلى دمشق، سمع الحديث من عدد من علماء عصره، من مصنفاته مجموع الفتاوى، (ت: 728هـ) معتقلًا في قلعة دمشق. ينظر: العبر في خبر من غبر. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق/ أبي هاجر محمد العبد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (ط1: 1405هـ – 1985م) (84/4).
(31) مجموع الفتاوى، شيخ الاسلام ابن تيمية (2/ 266).
(32) مجموع الفتاوى، شيخ الاسلام ابن تيمية (12/ 496).
(33) مجموع الفتاوى، شيخ الاسلام ابن تيمية (8/ 106).

قال ابن عربي: "دخلت على شيخنا أبي العباس العريبي[34] ..... وكان مستهتراً[35] بذكر الاسم "اللّه" لا يزيد عليه شيئاً ، فقلت له: يا سيدي لم لا تقول: "لا إله إلا اللّه"؟ فقال لي: يا ولدي الأنفاس بيد اللّه ما هي بيدي فأخاف أن يقبض اللّه روحي عند ما أقول لا إله فأقبض في وحشة النفي"[36].

والناظر في كلام العريني يجده مخالف لقوله - صلى اللّه عليه وسلم - قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى»[37]، فاثبت الحديث أن نية العبد أساس قبول أعماله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن العبد لو أراد أن يقول: "لا إله إلا اللّه" ومات قبل كمالها لم يضره ذلك شيئاً ، إذْ الأعمال بالنيات؛ بل يكتب له ما نواه"[38].

وسأل ابن عربي شيخاً صوفياً آخر عن ذلك فقال له: "ما رَأَتْ عيني ولا سَمِعَتْ أذني من يقول: أنا اللّه غير اللّه، فلم أجد مَنْ أنفي، فأقول كما سمعته يقول: "اللّه، اللّه" وإنما تعبدنا بهذا لاسم في التوحيد ، لأنه الاسم الجامع المنعوت بجميع الأسماء الإلهية ، وما نُقِلَ أنه وقعت من أحد من المعبودين فيه مشاركة بخلاف غيره من الأسماء مثل إله وغيره، وبهذا القدر من القول إذا قيل لقول الشارع ثبت الإيمان .... فإن القائل: "لا إله إلا اللّه" لا يكون مؤمناً إلا إذا قالها لقول رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - فإذا قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته"[39].

إن قول شيخ ابن عربي: "فأقول كما سمعته يقول: "اللّه، اللّه" لا أصل له، ولم يثبت عنه - صلى اللّه عليه وسلم – قال: "اللّه، اللّه" لا في ذكره، ولا في تعليمه لأصحابه - رضي اللّه عنهم -، بل الثابت في القرآن الكريم النطق بها كاملة كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (محمد آية: 19).

---

(34) لم أجد من ترجم لأبي العباس العريبي.

(35) المستهتر عند غلاة الصوفية هو من استولى حب الله – تعالى – على قلبه حتى صار عاشقاً مستهتراً بما سوى الله؛ لا هم له إلا "الله". ينظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، دار المعرفة، بيروت (د. ط، ت) (3/ 77).

(36) الفتوحات المكية، محيى الدين ابن عربي (1/ 495، 496).

(37) متفق عليه، صحيح البخاري (1/ 3، رقم: 1)، وصحيح مسلم (3/ 1515، رقم: 1907).

(38) مجموع الفتاوى، شيخ الاسلام ابن تيمية (10/ 557).

(39) ينظر: الفتوحات المكية، محيى الدين ابن عربي (1/ 496).

وكان النبي - صلى اللّه عليه وسلم – يحث أصحابه على النطق بشهادة التوحيد ومن ذلك قوله - صلى اللّه عليه وسلم - لأبي طالب[40]، «يا عم قل لا إله إلا اللّه كلمة أشهد لك بها عند اللّه»[41].

وقال - صلى اللّه عليه وسلم -: «من قال لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي»[42]، فهذا هو الذكر المشروع.

قال ابن عربي: "فإذا جاء الرسول وبين يديه العلماء باللّه وغير العلماء باللّه وقال للجميع: قولوا: "لا إله إلا اللّه"، علمنا على القطع أنه - صلى اللّه عليه وسلم – في ذلك القول معلم لمن لا علم له بتوحيد اللّه من المشركين، وعلمنا أنه في ذلك القول أيضاً معلم للعلماء باللّه وتوحيده أن التلفظ به واجب، وأنه العاصم لهم من سفك دمائهم وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم، ولهذا قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على اللّه»[43]، ولم يقل حتى يعلموا فإن فيهم العلماء فالحكم هنا للقول لا للعلم"[44].

ومعلوم أن القائل "لا إله إلا اللّه" لا شك أنه مسلم يدل غيره على باب من أبواب الخير والثواب بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (محمد آية: 19)، وقوله - صلى اللّه عليه وسلم -: «من قال لا إله إلا اللّه وكفر بما يعبد من دون اللّه حرم ماله ودمه وحسابه على اللّه»[45]، وقوله - صلى اللّه عليه وسلم -: «يا عم قل لا إله إلا اللّه كلمة أشهد لك بها عند اللّه»[46]، وبهذا نعلم أن قول ابن عربي مردود عليه؛ لفساد بالضرورة.

(40) هو: أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، عمّ رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – ، اشتهر بكنيته، واسمه عبد مناف على المشهور. مات أبو طالب قبل أن يهاجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بثلاث سنين وأربعة عشر. ينظر: الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، (ت: 354هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند (ط1: 1393هـ – 1973م) (1/ 35) والإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت (ط1: 1415هـ) (7/ 196).

(41) متفق عليه، صحيح البخاري (1/ 457، رقم: 1294)، وصحيح مسلم (1/ 54، رقم: 24).

(42) متفق عليه، صحيح البخاري (3/ 1198، رقم: 3119)، وصحيح مسلم (4/ 2071، رقم: 2691).

(43) سبق تخريجه

(44) ينظر: الفتوحات المكية، محيى الدين ابن عربي (1/ 493، 494).

(45) أخرجه مسلم في الصحيح (1/ 53، رقم: 23).

(46) سبق تخريجه.

ثم يواصل ابن عربي كلامه: فإن قلت: فقد رجح أهل الله ذكر لفظة "اللّه، اللّه" ولفظة "هو" على الأذكار التي تعطي النعت ووجدوا لها فوائد.

قلت: صدقوا وبه أقول ولكن ما قصدوا بذكرهم "اللّه، اللّه" نفس دلالته على العين، وإنما قصدوا هذا الاسم "اللّه" أو الضمير "هو" من حيث أنهم علموا أن المسمى بهذا الاسم هو هذا الضمير "هو" من لا تقيده الأكوان ومن له الوجود التام، فإحضاره في نفس الذاكر عند ذكر الاسم بذلك وقعت الفائدة فإنه ذكر غير مقيد، فإذا قيَّده ب"لا إله إلا اللّه" فلم ينتج له إلا ما تعطيه هذه الدلالة، وكل ذكر مقيد لا ينتج إلا ما تقيد به ولا يمكن أن يجنى منه ثمرة عامة، ولهذا رجحت الطائفة، - أي؛ غلاة الصوفية - ذكر لفظة "اللّه" وحدها أو ضميرها "هو" من غير تقييد[47].

إن الاسم المفرد مظهراً مثل: "اللّه" "اللّه"، أو مضمراً مثل "هو" "هو"، ليس مشروعاً في كتاب الله ولا في سنة النبي، ولا مأثوراً أيضاً عن أحد من السلف ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين[48].

ثم إن قول ابن عربي: "فقد رجح أهل الله ذكر لفظة "اللّه، اللّه" وذكر لفظة "هو" على الأذكار التي تعطي النعت ووجدوا لها فوائد" قول فاسد ولذلك لما يأتي:

أولاً: نقول له: من هم "أهل اللّه" من وجهة نظرك؟ فإن كان يقصد بأهل اللّه؛ أهل وحدة الوجود الذين حصل على أيديهم الانتقال من شهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" الى الذكر بالاسم المفرد "اللّه" أو " اللّه، اللّه" ومنها الى الضمير "هو" أو غير ذلك من أذكارهم المبتدعة استعداداً لتثبيت نظريتهم الباطلة "وحدة الوجود"، فهو خاطئ في قصده، للأن هؤلاء ليسوا بأهلٍ للّه ولا بأولياء له – سبحانه.

ثانياً: لا دليل لمن سماهم أهل اللّه - بزعمه- في ترجيحهم الذكر بالاسم المفرد " اللّه"، أو اللّه" "اللّه" فهو ذكر فاسد، والذكر بالضمير "هو" أشدُّ فساداً لمخالفة الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة.

إن الذكر المشروع للّه - جل وعلا - هو كلام تام، كما قال النبي - صلى اللّه عليه وسلم -: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن؛ سبحان اللّه، والحمد للّه، ولا إله إلا اللّه، واللّه

(47) ينظر: الفتوحات المكية، محيى الدين ابن عربي (3/ 344، 345).

(48) ينظر: مجموع الفتاوى، سيخ الإسلام ابن تيمية (10/ 556).

ISSN : 2410-1818

أكبر»[49]، وأما مجرد الذكر بالاسم المفرد (الله، الله) فلم تأت به الشريعة، وليس كلاماً مفيداً، فالكلام المفيد أن يخبر عنه بإثبات شيء أو نفيه، وأما التصور المفرد فلا فائدة فيه[50].

ومن شطحات غلاة الصوفية أنها سقطت ذات يوم كتلة من الخشب على رأس أحد مريديهم فانساب الدم فاكتتب على الأرض "الله، الله"[51]، فقالوا له: فليكن ذكرك "الله، الله" فهذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمرة، فبساطه العلم، وثمرته النور، وليس النور مقصوداً لذاته؛ بل لما يقع به من الكشف والعيان، فتمسَّك أيها المريد الصادق بذكر الاسم المفرد "الله" إذا كنت مأذوناً به من مرشد كامل فإنه أسرع في قلع عروق النفس من منابتها من السكين الحاد[52].

من المؤكد نقلا وعقلا أن ذكر الله - تعالى - لا يحتاج إلى اذن من أحد قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾ (النساء آية: 103)، وقال - صلى الله عليه وسلم - يقول الله - عز وجل - «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم»[53]، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أكمل الخلق ارشاداً وتعليماً وتوجيهاً فلا أكمل منه ومع ذلك ما أمر أصحابه بالاستئذان منه ولا ألزمهم بذلك، وكانوا - رضي الله عنهم - يذكرون الله ليلاً ونهاراً سراً وعلانية.

ومن كلام ابن تيمية - رحمه الله -: إن غلاة الصوفية الذين يغلوا في ذكرهم فيقتصرون على مجرد "الله، الله" ويعتقدون أن ذلك أفضل وأكمل، كما فعله كثير منهم وربما اقتصر بعضهم على "هو، هو"، أو على "لا هو، إلا هو" فهذا ذكر مبتدع لا يفيد بنفسه، وليس فيه ذكر "لله"[54] - جل وعلا.

(49) أخرجه الإمام أحمد في المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (د. م) (ط1: 1421هـ - 2001م) (33/ 375، رقم: 20222)، وقال المحقق: إسناده صحيح إن كان هلال بن يساف سمعه من سمرة.

(50) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت: 728هـ) تحقيق/ الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، (ط2: 1411هـ - 1991م) (8/ 535).

(51) ينظر: الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: 465هـ)، تحقيق/ عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة (د. ط، ت) (2/ 379).

(52) ينظر: حقائق عن التصوف، عبدالقادر عيسى، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية (د. ن، م، ط، ت) (1/ 94، 95).

(53) متفق عليه، صحيح البخاري (6/ 2694، رقم: 6970)، وصحيح مسلم (4/ 2061، رقم: 2675).

(54) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (2/ 63).

ومعلوم أن الذكر بالاسم المفرد "اللّه" أو الضمير "هو" بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة، وقد ثبت في الصحيح عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - أنه قال: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن: سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر»[55]، وأما الذكر الصوفية فغير مشروع[56].

وقال بعض الأكابر من غلاة الصوفية أن "لا إله إلا اللّه" ذكر العوام، والاسم المفرد "اللّه" ذكر الخواص، والضمير "هو" ذكر خواص الخواص[57].

ثم يقولون ذكر العامة "لا إله إلا اللّه"، وذكر الخاصة "اللّه، اللّه"، وذكر خاصة الخاصة "هو، هو"، في حين أن الذكر بالاسم المفرد بدعة ولا إيمان فيه[58].

وربما غلا بعضهم فجعل ذكر الاسم المفرد للخاصة وذكر الكلمة التامة "لا إله إلا لاللّه" للعامة، وربما قال بعضهم: "لا إله إلا اللّه" للمؤمنين و " اللّه " للعارفين و "هو" للمحققين وربما اقتصر أحدهم على "اللّه اللّه اللّه" أو على "هو"، وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك، واستدل عليه تارة بوجد وتارة برأي وتارة بنقل مكذوب[59].

وقالوا: إن شهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" توحيد العامة، و "اللّه، اللّه" توحيد الخاصة، و(هو، هو) توحيد خاصة الخاصة، يعني خلاصة الخلاصة؛ ولأجل ذلك تجدهم في ذكرهم لا يزيدون على كلمة (هو، هو)، مع أنها لا تدل على معنى، وأما شهادة التوحيد فإنها دالة على معنى[60].

من خلال ما تقدم يتبيَّن لنا ما يأتي:

اولاً: قولهم: أن شهادة التوحيد "لا إله إلا اللّه" هي ذكر العوام، في حين أن "لا إله إلا اللّه" أفضل الذكر لقوله - صلى اللّه عليه وسلم —: «أفضل الذكر لا إله إلا اللّه»[61]، ومن أجلها أرسل اللّه الرسل وأنزل الكتب.

---

(55) سبق تخريجه.

(56) ينظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (10/ 396).

(57) ينظر: كتاب المواهب السرمدية محمد أمين الكردي (1/ 164).

(58) ينظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (10/ 396).

(59) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (10/ 557).

(60) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين (ت: 1430هـ) (د. ن، م، ط، ت) (7/ 3).

(61) أخرجه الترمذي في السنن (5/ 462، رقم: 3383) وقال المحقق: إسناده حسن، وابن ماجه في السنن، محمد بن يزيد القزويني أبو عبدالله (ت: 273هـ)، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون ، دار الرسالة العالمية (د. م) (ط1: 1430هـ – 2009م) (4/ 712، رقم: 3801)، وقال الألباني: حديث حسن.

ثانياً: أن ذكر الخاصة بالاسم المفرد "اللّه"، وذكر خاصة الخاصة بالضمير "هو"، وهو قول فاسد بل الذكر بالضمير "هو" أشد فساداً، لمخالفته الأدلة المتضافرة من القرآن والسنة، ولما كان عليه النبي - صلى اللّه عليه وسلم – وسلف الأمة من بعده.

المطلب الثاني: أفضلية الذكر بشهادة التوحيد وآدابه:

تناول الباحث في هذا المطلب أفضلية الذكر وآدابه عند غلاة الصوفية وهو على النحو الآتي:
أولاً: أفضلية الذكر: اختلف العلماء في أيهما أفضل: الذكر بقول العبد "اللّه، اللّه، اللّه" أو "لا إله إلا اللّه"؛ فذهب قوم من الصوفية إلى أن ذكر الجلالة "اللّه، اللّه، اللّه" أفضل للمبتدئ، وذهب جمهور الصوفية والمحدثين والفقهاء إلى أن "لا إله إلا اللّه" أفضل للمبتدئ والمنتهي، وذهب قوم إلى أن "لا إله إلا اللّه" ذكر المبتدئ، وقول "اللّه، اللّه، اللّه" ذكر المنتهي، ولكل من المذاهب الثلاثة وجه.

فإن قيل أيهما أفضل ذكر "لا إله إلا اللّه" أو زيادة "محمد رسول اللّه"؟.

فالجواب: الأفضل ذكر السالكين "لا إله إلا اللّه" فقط حتى يحصل للذاكرين الجمعية مع اللّه بقلوبهم. فإن قيل: فأيهما أفضل الذكر أو تلاوة القرآن؟ من حيث أنه ذكر وتلاوة،

فالجواب: الذكر أفضل للمريد، وتلاوة القرآن أفضل للكامل، الذي عرف عظمة اللّه - تعالى[(62)].

ومنهم غلاة الصوفية من يرجح ذكر الاسم المفرد كقوله: "اللّه اللّه" على كلمة الإخلاص "لا إله إلا اللّه" ومنهم من يرجح ذكر المضمر: "هو، هو" أو "يا هو" على لفظ الجلالة، وهذا كله لا شك من الغلط الذي سببه فساد كثير من السالكين حتى آل الأمر ببعضهم إلى الحلول والاتحاد.

وقد ثبت عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - أنه قال: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن؛ سبحان اللّه، والحمد للّه، ولا إله إلا اللّه، واللّه أكبر»[(63)]، وقال - صلى اللّه عليه وسلم -: «أفضل الذكر لا إله إلا اللّه»[(64)]، والأحاديث في فضل هذه الكلمات ونحوها كثيرة وصحيحة،

(62) ينظر : الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني (ت: 973هـ)، تحقيق/ طه عبدالباقي سرور، والسيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، (د. ط) (1408هـ - 1988م) (1/ 47، 48)، وتحفة السالكين، محمد المنير السَّمنُّودي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (ط1: 1430هـ - 2009) (1/ 38).

(63) سبق تخريجه.

(64) سبق تخريجه.

والقرآن أفضل من الذكر والدعاء لتعينه للصلاة ولا يقرؤه جنب ولا يمسه إلا الطاهر بخلاف الذكر والدعاء(65).

ثانياً: آداب الذكر:

من آداب الذكر المتعلق بشهادة التوحيد عند غلاة الصوفية:

أولاً: أن يستمد الذاكر عند شروعه بالذكر بهمة شيخه، بأن يشخصه بين عينيه، ويستمد منه همته، ليكون رفيقه في السير، وأن يرى استمداده من شيخه، هو استمداده حقيقة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنه واسطة بينه وبينه، وأن يختار لفظة "لا إله إلا الله" فإن لها أثراً عظيماً عند القوم، فإن فنيت شهواته وأهويته كلها فحينئذ يصلح أن يذكر الله بلفظ الجلالة "الله" فقط من غير نفي(66).
"السكون والسكوت ليحصل له - أي؛ للمريد الذاكر - الصدق وذلك أن يشغل الإنسان قلبه "بالله: الله، الله" بالفكر دون اللفظ، حتى لا يبقى خاطر مع "الله" ثم يوافق اللسان القلب بقول "لا إله إلا الله" يفعل ذلك كلما أراد الذكر"(67).

ثانياً: "السكون والسكوت ليحصل له - أي؛ للمريد الذاكر - الصدق وذلك أن يشغل الإنسان قلبه "بالله: الله، الله" بالفكر دون اللفظ، حتى لا يبقى خاطر مع "الله" ثم يوافق اللسان القلب بقول "لا إله إلا الله" يفعل ذلك كلما أراد الذكر"(68).

وقال الشعراني(69): "وما ذكروه من آداب الذكر محله في الذاكر الواعي المختار، أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأسرار فقد يجري على لسانه "الله، الله، الله"، أو "هو، هو، هو" أو "لا، لا، لا" أو "آه، آه، آه"، أو "عا، عا، عا" أو "آ، آ، آ" أو "ه، ه، ه" أو "ها، ها، ها" أو صوت بغير حرف أو تخبط، وأدبه عند ذلك التسليم للوارد، فإذا انقضى الوارد فأدبه السكون من غير تقول"(70)، ويجوز عند غلاة الصوفية الذكر بجميع الأنواع؛ "إيل" اسم "الرحمن" و "لاها" اسم "المحبوب"، لورود الشرع بذلك – حسب زعمهم -، ولا يلزم "لا إله إلا الله" إلا في الشهادتين والأذان، والتشهد في الصلاة،

---

(65) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (10/ 396)، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، محمد بن علي بن أحمد البعليّ (ت: 778هـ)، تحقيق/ عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، تصوير دار الكتب العلمية (د. ط، ت) (1/ 97، 98).

(66) ينظر: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني (1/ 36، 37).

(67) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني (1/ 36).

(68) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني (1/ 36).

(69) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، الشعراني، من العلماء المتصوفين، (ت: 973 هـ) في القاهرة، من مصنفاته، الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، والأنوار القدسية في معرفة آداب العبوديّة. ينظر. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين (د. م) (ط15: 2002 م (4/ 180، 181).

(70) ينظر: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني (1/ 39).

ويجوز الذكر بحرف واحد كما ورد في أوائل السور مثل "كاف، هاء، عين، صاد .. الخ"، ويجوز الرقص مع الذكر بدليل فعل الحبشة في المسجد بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم ينكر عليهم[71]، وكان رقصهم بالوثبات والوجد[72].

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول:

أولاً: أن ذكر غلاة الصوفية ما أنزل الله به من سلطان؛ ومن ذلك أن يقول الذاكر: "الله، الله"، أو "هو، هو" أو "لا، لا" أو "آه، آه"، أو "عا، عا" أو "ه، ه" أو "ها، ها" أو صراخاً أو بكاءاً بدون صوت، أو يتخبط كمن مسه الشيطان، أو أن يترنح الذاكر شمالاً ويميناً، لا صفة له شرعاً، بل مخالف لما عُلِمَ من الدين بالضرورة، إنها مآسٍ تقشعر منها الأبدان، فمن اطلع على ذكرهم، ولم يكن يعرفهم من قبل لكانت النتيجة كما في قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾ (الكهف آية: 18).

ثانياً: قولهم: "ويجوز الرقص مع الذكر بدليل فعل الحبشة في المسجد" إشارة إلى الحديث الذي روته عائشة - رضي الله عنهما - أنها قالت: «لعبت الحبشة عند النبي - صلى الله عليه وسلم - في المسجد، فجئت أنظر فجعل يطأطئ لي منكبيه لأنظر إليهم»[73]، ولكن لا دليل لهم في الحديث لأن الأحباش إنما رقصوا بحرابهم فرحاً بقدوم النبي - صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة كما ثبت ذلك في الرواية التي رواها أبو داود وغيره، ولم يكن رقصهم لغرض الذكر والدعاء والتقرب إلى الله - جل وعلا - بخلاف رقص غلاة الصوفية فإنه وسيلة غير مشروعة، يتقربون بها إلى الله - جل وعلا – في ذكرهم المبتدع، ولم يثبت في الشرع أنها وسيلة مشروعة.

وأبلغ من ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أن منهم من يقول ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان حتى يقول لا فرق بين قولك: يا حي وقولك يا جحش. وهذا مما قاله لي شخص منهم وأنكرت ذلك عليه، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتنزل عليها الشيطان[74].

المطلب الثالث: طريقة الذكر بشهادة التوحيد:

لغلاة الصوفية في الذكر بشهادة التوحيد "لا إله إلا الله" كيفيات وطرق معينة ومن ذلك:

إن على الذاكر بكلمة "لا إله إلا الله" يلزمه أن يلصق اللسان بسقف الحلق ثم يحبس النفس بعد أخذه في الجوف ويبتدئ بأخذ كلمة "لا" بالتَّخَيُّل - وليس بالصوت - من تحت السرة ويمدها في وسط اللطائف على الأخفى حتى ينتهي إلى لطيفة النفس الناطقة وهي في البطن الأول من الدماغ ويبتدئ

---

(71) أخرجه الإمام أحمد في مسند الإمام أحمد بن حنبل (41/ 80، رقم: 24533)، وقال المحقق: حديث صحيح.

(72) رحلة الى الحق، فاطمة اليشرطية الحسينية، (د. ن، م، ط، ت) (1/ 185).

(73) سبق تخريجه.

(74) ينظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (10/ 397).

بعدها بأخذ همزة "إله" من الدماغ بالتَّخَيُّل وينزل بها حتى ينتهي إلى الكتف الأيمن ويجرها إلى الروح، ويبدئ بعدها بأخذ همزة "إلا اللّه" بالتَّخَيُّل من الكتف ويمدها بالتَّنزل على حافة وسط الصدر حتى ينتهي بها إلى القلب فيضرب بالتَّخَيُّل بلفظ الجلالة بقوة النفس المحبوس على سويداء القلب حتى يظهر أثرها وحرارتها في سائر الجسد بحيث يحرق جميع الأجزاء الفاسدة في البدن بتلك الحرارة فيتنور ما فيه من الأجزاء الصالحة بنور الجلالة، ويلاحظ الذاكر معنى "لا إله إلا اللّه"؛ أي؛ لا معبود، ولا مقصود، ولا موجود "إلا اللّه"، فهذه ثلاث معان: الأولى: للمبتدئ، والثانية: للمتوسط، والثالثة: للمنتهي(75).

ومن طرقهم أن على الذاكر "أن يغمض عينيه ويُطْبِق الفم ويجعل السِّن على السن ويلصق اللسان بعرش الفم وتَحْبِس النَّفَسْ، ويذكر بالقلب لا باللسان بأن يبدئ بكلمة "لا" من تحت السرة ويرفعها إلى الدماغ، وبكلمة "إله" من الدماغ إلى الكتف الأيمن ويضرب "إلا اللّه" على القلب الصنوبريّ الشكل حتى تصل حرارته إلى الأعضاء كلها"(76) وعليه أن يحضر معنى الذكر كل مرة بقلبه، فإن كان الغالب عليه ظهور البشرية والوسواس فعليه أن يقول بلسانه: "لا إله إلا اللّه" وبقلبه "لا معبود إلا اللّه"، ولصفاء القلب وطلب شيء من المعرفة والشوق والذوق فعليه أن يقول بلسانه: "لا إله إلا اللّه" وبقلبه لا مطلوب إلا اللّه، ولنفي الخواطر كلها يقول: "لا إله إلا اللّه" وبقلبه لا موجود إلا اللّه لمشاهدته له(77).

إن قول من يقول أن معنى "لا إله إلا اللّه"، أي؛ "لا معبود إلاَّ اللّه" فنقول له: هذا ضلال عظيم، لأنك أدخل كل المعبودات وجعلتها هي "اللّه"، فجعلت الأصنام والأضرحة والكواكب وكل ما عُبد من دون "اللّه"؛ هو "اللّه"، لأن المعبودات على قسمين: معبود بحق وهو اللّه- جل وعلا -، ومعبود بالباطل، وهو كل معبود من غير اللّه - سبحانه -، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ (الحج آية: 62)(78).

وتمادى غلاة الصوفية في غيهم وضلالهم فقالوا بالحلول وأن اللّه - جل وعلا - حالٌ في كل شيء وقالوا بوحدة الوجود وأنه لا موجود إلا اللّه بل كل موجود هو عين وجود اللّه تبارك وتعالى، وليس وجودها غيره ولا سواه البتة(79).

---

(75) ينظر: تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، محمد أمين الكردي الإربلي (ت: 1322هـ)، خرج أحاديثه وأبدل ما أسند ضعفه بما يحتج به من الأحاديث/ نجل المؤلف نجم الدين الكردي، قدم له وأشرف على طباعته/ عبدالله مسعود، دار القلم العربي، حلب (ط1: 1411هـ - 1991م) (1/ 573، 574).

(76) كتاب المواهب السرمدية، محمد أمين الكردي (1/ 90).

(77) ينظر: تحفة السالكين ودلائل السائرين لمنهج المقربين، محمد المنير السَّمنُّودي (1/ 37).

(78) ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان (1/ 61).

(79) ينظر: حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، محمد بن عبد الله زربان الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (ط1: 1423هـ - 2003م) (1/ 40).

إن الناظر في ذكر غلاة الصوفية يمكنه القول: حصول نقلة نوعية حاسمة وبمراحل متتابعة في ذكر غلاة الصوفية بشهادة التوحيد فقد تم الانتقال من "لا إله إلا الله" إلى قولهم: "لا معبود إلا الله" ومن ثَمَّ: "لا موجود إلا الله" سعياً منهم في ترسيخ نظريتهم الكبرى "وحدة الوجود"، وهذا لا شك تطور ناتج عن اعتقادهم أن توحيد الربوبية أهم أقسام التوحيد، وهو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، لأن الوجودية من دلائل الربوبية خلافاً للنصوص الشرعية ومنها قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (محمد آية: 19)، وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[80]، إذْ ثبت في الحديث أن توحيد الألوهية هو الذي فمن أجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وليس توحيد الربوبية كما يزعم غلاة الصوفية.

ومنهم من يأمر المريد أن يقول: "لا إله إلا الله" مائة مرة، خمسين باللسان، وخمسين بالقلب، مع تغميض العينين، والاهتزاز والحضور، ثم يقول: "الله" مائة مرة، خمسين باللسان، وخمسين بالقلب، ثم يقول: "هو" مائة مرة، خمسين باللسان، وخمسين بالقلب.

ومنهم من يأمر المريد أن يقول: "لا إله إلا الله" خمسين مرة، ثم "لا معبود إلا الله" خمسين مرة، ثم "لا موجود إلا الله" خمسين مرة، "ما في الملك إلا الله" خمسين مرة، "، "هو الله" مائة مرة، ثم "الله، الله، الله" خمسمائة مرة[81].

ومن مشايخ غلاة الصوفية من يأمر الذاكر أن يديم قول "الله، الله" طول نهاره من غير انقطاع فإذا اعتاد على ذلك أمره أن يقولها في ليله، والذكر يكون لفظاً ويكون صمتاً، ومن الخير أن يتعاون اللسان والقلب جميعاً[82].

ومنها أن تجري "لا إله إلا الله" أولاً على لسانك، "ثم إذا انفتحت عليك نفحات الجمع[83] ولمعت بوارق الواحدية[84]، فاقتصر على قولك "الله" ثم إذا تخلصت من أسر الجرم والعرض، وانحللت من قيد

---

(80) سبق تخريجه

(81) ينظر: مجموع الأوراد الكبير، محمد عثمان الميرغني (الختم)، (د. م، ن، ط) (1439هـ - 2018) (1/ 7، 85).

(82) ينظر: الصوفية في الاسلام، رينولد نيكلسون، ترجمه وعلق عليه/ نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط2: 1422هـ - 2002م) (1/ 55).

(83) الجمع أي؛ جمع الهمة في أن تكون كل الهموم هماً واحداً، فيكون همه لله، وبالله، ومن الله، وهذا هو حال المجاهدة والرياضة. ينظر: معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوي، مؤسسة مختار، القاهرة، (ط1: 1987م) (1/ 109).

(84) عبارة عن مجلى ظهور الذات والصفة معاً؛ ففي الواحدية تظهر الاسماء والصفات الإلاهية. ينظر: النادرات العينية، عبدالكريم الجيلي، دار الأمين، القاهرة، (ط1: 1419هـ - 1999م) (1/ 184)، هامش.

الزمان والمكان، وظهرت بالمستوى الذي سمعت فيه صرير الأقلام بتصريف الأقدار، فقل عند ذلك: "هو، هو" حتى تغيب من هويتك"[85].

إن طرق غلاة الصوفية في الذكر ما أنزل الله بها من سلطان، فهي بل مخالفة للنصوص الصريحة، ناهيك عما فيها من مشقة على العبد، في حين أن النصوص الشرعية تأمر بالتيسير قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة آية: 286)، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «يسروا ولا تعسروا»[86]، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون»[87].

ومن ذلك قولهم: "ما زال العبد يذكر الله حتى يستولي الاسم عليه "أي؛ اسم الله" ومن استولى عليه الاسم انطوت العبديَّة بالربوبية، وظهرت عليه صفات الرب، ولذة الرب تغيَّب العبد عن وجوده حساً ومعنى"[88].

فكان - من المشايخ من - يأمر مريده بأن يقول هذا الاسم، أي؛ الاسم المفرد، مرات فإذا اجتمع قلبه ألقى عليه حالاً شيطانياً فيلبسه الشيطان ويخيل إليه أنه قد صار في الملأ الأعلى وأنه أعطي ما لم يعطه محمد - صلى الله عليه وسلم - ليلة المعراج ولا موسى - عليه السلام - يوم الطور[89].

والمقصود بقولهم "حتى تغيب هويتك" قولهم: " انطوت العبديَّة بالربوبية، وظهرت عليه صفات الرب، ولذة الرب تغيَّب العبد عن وجوده حساً ومعنى" أي؛ حصول "الفناء"[90] الصوفي في الذات الإلهية، وهي عقيدة الحلول والاتحاد وكما هو معلوم أنها عقيدة ضلال وإضلال مستمدة من ديانات الهند الكبرى "النرفانا"[91] والعياذ بالله تعالى.

وأجمع غلاة الصوفية على أن المريد يجب عليه أن يذكر بقوة تامة، واجتهاد بحيث لا يبقى فيه متسع، ويهتز من مفرقه إلى أصبع قدميه وهي حالة يستدل بها الأشياخ على أن المريد صاحب همة تامة فيرجى له الفتح عن قريب، ويجب عليه أن يصعِّد "لا إله إلا الله" بالقلب[92].

---

(85) ينظر: النادرات العينية، عبدالكريم الجيلي(1/ 184).

(86) متفق عليه، صحيح البخاري (5/ 2269، رقم: 5774)، وصحيح مسلم (3/ 1359، رقم: 1734).

(87) متفق عليه، صحيح البخاري (5/ 2201، رقم: 5523)، وصحيح مسلم (1/ 540، رقم: 782).

(88) رحلة الى الحق، فاطمة اليشرطية،(1/ 337).

(89) ينظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (10/ 397).

(90) للفناء تعريفات كثيرة منها: أنه" تلاشي الصوفي عن وجوده الحسي، ويستلزم ذلك "الفناء" البقاء لاتحاده بالحياة الربانية" ينظر: الصوفية في الاسلام، رينولد نيكلسون (1/ 138).

(91) للنرفانا تعريفات كثيرة منها: أنه فقدان النفس لوعيها بذاتها، وأيضاً لكل إحساس، أو فكر، كما تنطفئ النار عندما تفقد الضوء، كذلك ينطفئ الإنسان الذي يتوقف عن تغذية نار رغباته ينظر: الفلسفة في الهند، علي زيعور، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر (د. م) (ط1: 1993م) (1/ 282).

(92) ينظر: تحفة السالكين ودلائل السائرين لمنهج المقربين، محمد المنير السَّمنُّودي (1/ 36، 37).

ISSN : 2410-1818

وعلى الذاكر أن يغمض عينيه، ولا ينظر بعضهم إلى بعض، لأنه مانع من الحضور، ولا بأس بالهز يميناً وشمالاً إن كان الذكر بشهادة "لا إله إلا اللّه" وإن كان بالجلالة أي؛ "اللّه" رفع رأسه إلى فوق وضرب بصدره(93).

ومنها أن على الذاكر باسم الذات استحضار الاسم الشريف " اللّه" مع امتلاء القلب بمعناه، بحيث يكون القلب ممتلئا بالهيبة من المذكور مستغرقا في جلاله، ملاحظاً أنه مطلع عليه وقريب منه، على وجه لا يبقى معه لحظور الغير مدخل قال تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ (طه آية: 14)، وقال – صلى الله عليه وسلم - «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض من يقول: اللّه اللّه»(94).

فالاسم المفرد هو سلطان الأسماء- بزعمهم - وهو اسم "اللّه" الأعظم، ولا يزال المريد يذكر بالاسم المفرد هو وهو اسم "اللّه" بلسانه ويهتز به، حتى يمتزج بلحمه ودمه، وتسري أنواره في كلياته وجزئياته فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح، ثم إلى السر، فحينئذ يخرس اللسان ويصل إلى الشهود والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره، واختياره على سائر الأذكار(95).

فإذا جلس - المريد - في مكان خالٍ وعطَّل طريق الحواس وفتح عين الباطن وسَمْعَه وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت، وقال "اللّه، اللّه" بقلبه دون لسانه إلى أن يصير لا خبر له من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يريد شيئاً إلا اللّه – سبحانه - انفتحت تلك الطاقة وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء والصور الحسنة الجميلة وانكشف له ملكوت السموات والأرض، ورأى مالا يمكن شرحه ولا وصفه، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (الأنعام آية: 75) وكما قال النبي - صلى اللّه عليه وسلم - «زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها»(96)، لأن علوم الأنبياء كانت من هذه الطريق لا عن طريق الحواس(97).

فإذا جلس الذاكر فارغَ القلب، مجموع الهَمْ، يقول: "اللّه، اللّه" على الدوام؛ فيتفرغ قلبه، ولا يشتغل بتلاوة، ولا كتب حديث؛ فإذا بلغ هذا الحد، التزم الخلوة في بيت مظلم، ويتدثَّر بكسائه، فحينئذٍ: يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية أما ترى أن نداء رسول اللَّه - صَلَّى اللَّه عليه وسلم - بَلَغَهُ وهو على مثل هذه الصفة فقيل له يا أيها المزمل يا أيها المدثر(98).

---

(93) ينظر: تحفة السالكين، محمد المنير السَّمَنُّودي (1/ 40، 41).

(94) أخرجه مسلم في الصحيح (1/ 131رقم: 148).

(95) ينظر: حقائق عن التصوف، عبدالقادر عيسى، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية (1/ 94، 95).

(96) أخرجه الأمام مسلم بلفظ «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها»، (4/ 2215، رقم: 2889).

(97) ينظر: كتاب المواهب السرمدية، محمد أمين الكردي (1/ 309، 310).

(98) ينظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (3/ 76)، وعيون الرسائل والأجوبة على المسائل، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ت: 1293هـ)، تحقيق/ حسين محمد بوا، مكتبة الرشد، الرياض (ط1) (د. ت) (1/ 409).

إن "سيد الخلق إنما سمع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر آية: 1)، من جبريل عن الله، وهذا الأحمق لم يسمع نداء الحق أبداً، بل سمع شيطاناً، أو سمع شيئاً لا حقيقة من طيش دماغه والتوفيق في الاعتصام بالسنة والإجماع"[99].

ومنهم من "أمروا المريد أن يفرغ قلبه من كل شيء حتى قد يأمروه أن يقعد في مكان مظلم ويغطي رأسه ويقول: الله الله. وهم يعتقدون أنه إذا فرغ قلبه استعد بذلك فينزل على قلبه من المعرفة ما هو المطلوب بل قد يقولون: إنه يحصل له من جنس ما يحصل للأنبياء. ومنهم من يزعم أنه حصل له أكثر مما حصل للأنبياء"[100].

ولا يخفى على أهل الإنصاف أن الذكر القلبي هو الذي اختاره مشايخ الصوفية لما فيه - بزعمهم - من التفكر والتأمل في عظمة الله - جل وعلا - والاستغراق فيها والإيمان بالله وصفاته على طريق التجدد والاستمرار مع الاشتغال باسم الذات، قال ابن عربي: "ليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو "الله، الله" وتَحَفَّظْ أن يفوه به لسانك، وليكن قلبك هو القائل"[101]، ولهم طرق أخرى كثيرة[102].

إن الذكر الصوفي مع عدم مشروعيته ومخالفته لكثير من لأدلة الصحيحة، كان أيضاً سبباً لتلاعب الشياطين بهم ومخاطبتهم، وكان لها تأثراً كبيراً على عقولهم وحواسهم؛ فتُوْهِمَهُم أنهم صاروا جزءً من الذات الالهية، ، وهذا هو "الفناء" الصوفي المأخوذ من "نرفانا" الديانات الهندية، فجعلتهم الشياطين يتخيلون أشياء لا حقيقة لها، فمنهم من زعم أنهم قد حصلت لهم خوارق من جلوس على النار أو مشي على الماء أو طيران في الهواء، أو أنهم صاروا من الملائكة، فاعتقدوا أن سلوكهم صحيحاً ولكن ذلك من عمل الشيطان وتزيينه لهم قال تعالى:﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ (النمل آية: 24) ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فقد شرع الصوفية لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله، فانحرفوا عن المنهج الإسلامي القائم على الاعتدال، والبعد عن الغلو والتطرف، لأنهم لم يجدوا فيه ما يوافق أهواءهم المنحرفة، وأذواقهم الفاسدة، وأفهامهم المعوجة، فاتخذوا لأنفسهم سبيلاً جمعوا فيه خليطاً من الديانات اليهودية والنصرانية والمجوسية، وغير ذلك مما دخل على المسلمين من العقائد الباطلة، وادعوا لأنفسهم أحوالاً، وأذواقاً ومواجد لم يعرفها الدين، ولا أتباع الأنبياء والمرسلين، وفتحوا على الإسلام والمسلمين باب شر

(99) سير أعلام النبلاء، الذهبي (19/ 334).

(100) مجموع الفتاوى، شيخ الاسلام ابن تيمية (10/ 397، 398).

(101) كتاب المواهب السرمدية، محمد أمين الكردي (1/ 310، 311).

(102) ينظر: تنوير القلوب، محمد أمين الكردي (1/ 569 - 575)، ومجموع الأوراد الكبير، محمد الميرغني (الختم) (1/ 7 - 85)، وكتاب المواهب السرمدية، محمد أمين (1/ 79 - 94).

دخلت منه عظائم الفتن، وكبرى المحن، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل، فكان كثير منهم يَصدُق عليهم قوله الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف آية: 36، 37)[103].

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وهي على النحو الآتي:

أولاً: لغلاة الصوفية في ذكرهم بشهادة التوحيد "لا إله إلا الله" عقيدة خاصة بهم مناقضة تماماً لتوحيد الألوهية وأدلته الكثيرة من القرآن والسنة، ولما كان عليه السلف الصالح - رحمة الله عليهم -، ومن ذلك ذكرهم بالاسم المفرد "الله، الله" أو الضمير "هو، هو" أو غير ذلك مما هو ذكر مبتدع وعقيدة فاسدة معلومة الفساد بالضرورة.

ثانياً: ذكر غلاة الصوفية بشهادة التوحيد لا أصل له في الدين الاسلامي ولا دليل لهم عليه لا من نقل ولا من عقل صريح ولا من فطرة سليمة.

ثالثاً: إن الذكر بشهادة التوحيد "لا إله إلا الله" عند غلاة الصوفية مَرَّ بأطوار متعددة حتى وصل إلى عقيدة أهل وحدة الوجود.

التوصيات: من أهم ما يوصي به الباحث: ضَرُوْرة دراسة عقيدة غلاة الصوفية في مواضيعها المختلفة من خلال مصنفاتهم، ؛ ليتجلى للباحثين ما هم عليه من عقيدة سواء أكانت سليمة أو فاسدة، وإظهار ذلك لمن أراد الاطلاع على عقيدتهم.

سائلاً المولى - جل وعلا- أن ينفع ببحثي هذا الإسلام والمسلمين، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتي يوم القيامة وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(103) ينظر: حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، محمد بن عبد الله الغامدي (1/ 40).

المراجع

1. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، دار المعرفة، بيروت (د. ط، ت) (3/ 77).
2. أدب الطلب ومنتهى الأدب، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، تحقيق/ عبد الله يحيى السريحي، دار ابن حزم، بيروت (ط1: 1419هـ - 1998م).
3. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت (ط1: 1415هـ).
4. أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، (د. م، ط، ن،)، (1420هـ -1421هـ).
5. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، (د. م) (ط3: 1423هـ - 2002م).
6. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين (د. م) (ط15: 2002م).
7. الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، عبدالوهاب الشعراني (ت: 973هـ)، تحقيق/ طه عبدالباقي سرور، والسيد محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، (د. ط) (1408هـ - 1988م).
8. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، مرتضى الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د. م، ط، ت).
9. تحفة السالكين، محمد المنير السَّمنُّودي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (ط1: 1430هـ - 2009 (1/ 38).
10. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير، الرياض، (ط1: 1424هـ).
11. تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، محمد أمين الكردي الإربلي (ت: 1322هـ)، خرج أحاديثه وأبدل ما أسند ضعفه بما يحتج به من الأحاديث/ نجل المؤلف نجم الدين الكردي، قدم له وأشرف على طباعته/ عبدالله مسعود، دار القلم العربي، حلب (ط1: 1411هـ - 1991م).
12. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، (ت: 354هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند (ط1: 1393هـ - 1973م).
13. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: 256)، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة، بيروت (ط3: 1407هـ – 1987م).

14. حقائق عن التصوف، عبدالقادر عيسى، موقع الطريقة الشاذلية الدرقاوية (د. ن، م، ط، ت).
15. حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد، محمد بن عبد الله زربان الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (ط1: 1423هـ- 2003م).
16. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت: 728هـ) تحقيق/ الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، (ط2: 1411هـ - 1991م).
17. رحلة الى الحق، فاطمة اليشرطية الحسينية، (د. ن، م، ط، ت).
18. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت: 465هـ)، تحقيق/ عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة (د. ط، ت).
19. سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني أبو عبدالله (ت: 273 هـ)، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون ، دار الرسالة العالمية (د. م) (ط1: 1430 هـ - 2009م).
20. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي (ت: 279هـ)، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر، وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (ط2: 1395 هـ - 1975م).
21. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ات : 748هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (د. م) (ط3 : 1405 هـ - 1985م).
22. شرح العقيدة الطحاوية، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين (ت: 1430هـ) (د. ن، م، ط، ت).
23. شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس (ت: 1395هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه/ علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الخبر (ط3: 1415 هـ).
24. شركيات عقائد الصوفية، الشيخ محمد بن عبد الله الإمام، الجمهورية اليمنية، ذمار، (د. ن، ط).
25. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ط، ت).
26. الصوفية في الإسلام، رينولد نيكلسون، ترجمه وعلق عليه/ نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط2: 1422 هـ – 2002م).
27. العبر في خبر من غبر. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق/ أبي هاجر محمد العبد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (ط1: 1405هـ – 1985م).

28. عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبد الله العبود، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (ط2: 1424 هـ - 2004م).

29. عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (ت: 1293هـ)، تحقيق/ حسين محمد بوا، مكتبة الرشد، الرياض (ط1) (د. ت).

30. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت: 1285هـ)، تحقيق/ محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (ط7: 1377 هـ -1957م).

31. الفتوحات المكية، محيى الدين محمد بن علي بن محمد المعروف بابن عربي (ت: 638هـ)، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ط، ت).

32. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة (ط4: 1422 هـ - 2001م).

33. الفلسفة في الهند، علي زيعور، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر (د. م) (ط1: 1993م).

34. فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد الملقب بصلاح الدين (ت: 764هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت (ط1: 1974م).

35. كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (ط1: 1421ه).

36. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 170هـ)، تحقيق/ مهدي المخزومي، وآخرون دار الهلال (د. ط، م، ت).

37. كتاب المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية، محمد أمين الكردي الإربلي (ت: 1322هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة (ط1: 1329هـ).

38. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على بن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت (ط3: 1414هـ).

39. مجموع الأوراد الكبير، محمد عثمان الميرغني (الختم)، (د. م، ن، ط) (1439هـ - 2018).

40. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام ابن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية(د. ط) (1416 هـ - 1995م).

41. مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، محمد بن علي بن أحمد البعليّ (ت: 778هـ)، تحقيق/ عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، تصوير دار الكتب العلمية (د. ط، ت).

42. مسند الإمام أخمد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (د. م) (ط1: 1421 هـ - 2001م).

43. معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوي، مؤسسة مختار، القاهرة، (ط1: 1987م).

44. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب (ط1: 1429هـ - 2008م).
45. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأخرون، دار الدعوة (د. م، ط، ت).
46. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (د. م، ط)، (1399هـ - 1979م).
47. النادرات العينية، عبدالكريم الجيلي، دار الأمين، القاهرة، (ط1: 1419هـ - 1999م).
48. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (ت: 681هـ)، تحقيق/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت (د. ط) (1900م).